أسلوب الترجي

الترجي "**هو طلب أمر قريب الوقوع**، فإذا كان الأَمر مكروهًا حمِّل الترجي معنى الاشفاق"، وهو لا يكون إلا في الممكن، كقوله تعالى: ﴿**وَهَلْ أَتاكَ حَدِيثُ مُوسى ، إِذْ رَأى ناراً فَقالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ ناراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً**﴾[1]، فإمكانية حصول النبي موسى (عليه السلام) على قبس من تلك النار أو أن يجد أناسًا يرشدوه إلى الطريق ليس بالأمر المستحيل فهو في حدود الممكن، فقد جاء كلام سيدنا موسى (عليه السلام) على حقيقته فهو يرجو ويأمل بعد أن ضل طريقه في تلك الليلة الباردة أن يحصل على قبس من نار تقيه البرد أو أن يحصل هناك على من يرشده الطريق، ولعلَّ مما يؤيد هذا الرأي أنه قال آنست ولم يقل رأيت؛ لأنَّ الإيناس في اللُّغَة هو الإبصار البين الَّذِي لا شبهة فيه، فالرؤية كانت رؤية مؤكدة والطلب كان في حدود الممكن، يقول الزمخشري "ولما كان الإتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين، بنى الأمر فيهما على الرجاء والطمع"، لذا فإن الأُسْلُوب جاء على حقيقته فهو رجاء حصول النبي موسى (عليه السلام) على قبس من تلك النار التي شاهدها أو حصوله على معلومة تدلّه الطريق.

ومثله رجاء الرسول محمد (عليه السلام)، إذ يقول: "ألا فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعلَّ بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه، ثم قال: ألا هل بلغت، ألا هل بلغت؟ قلنا: نعم، قال: اللهم أشهد"، فحصول هذا الطلب ممكن أيضًا؛ لأنه لا يعدم أن يكون من بين مَن لم يسمع هذا الحديث من هو أوعى وأشد حرصًا على تطبيق تعاليم ديننا الحنيف من بعض مَن سمعه إذن فهو رجاء في حدود الممكن.

ويكون أسلوب الترجي بأدوات منها (لعلَّ) وهي في الغالب تفيد معنى الرجاء، كقوله تعالى: ﴿**لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً**﴾[2]، يقول عباس حسن أن (لعلَّ) في الغالب للترجي أو التوقع، وقد تكون للإشفاق ، وهو ما يحدث في الأمر المكروه كقوله تعالى: ﴿**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً**﴾[3]، لحزنه (صلى الله عليه وسلم)

---

١) طه: ٩ـ ١٠.

٢) الطلاق: ١.

٣) الكهف: ٦.

على بعض من سأله من مشركي قريش حين فاته ما كان يرجوه منهم لتأخر الوحي المنزل من عند الله سبحانه وتعالى، ومعنى الآية لا تفعل ذلك بنفسك وهو إشفاق بحال محمد (ﷺ).

ومن أدوات هذا الأُسْلُوب أيضًا (عسى) ، كقوله تعالى: ﴿**فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ**﴾[٤]، وهذا رجاء بيِّن والله أعلم.

ومن أدوات الرجاء الأخرى (حرى) و(اخلولق)، إذ يرى ابن عقيل، والصبان، أنَّهما أداتان تفيدان الرجاء، وهذا كله بحسب السِّيَاق الَّذِي ترد فيه كل أداة على ما قلنا سابقًا.

ومما يلاحظ في الطلب بهذا الأُسْلُوب أنه ينماز بسمتين:

الأولى: وجود الرغبة فيما نرجو فإن لم تتحقق هذه السمة دلَّ الأُسْلُوب على معنى جديد غير الرجاء.

الثانية: إمكانية تحقق المرجو فإن كان عسيرًا أو مستحيلاً انتقلت دلالته إلى معنى التمني كما في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِباً وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ**﴾[٥]، فقول فرعون وإن كان بلفظ الرجاء إلا أنه يدلُّ على التمني لاستحالة ما يطلبه، ثم إن فرعون يعلم جيدًا أنه لا يستطيع بلوغ أسباب السماء ولكنه استعمل الأداة لعلَّ المشعرة بقرب ما يتمناه؛ لأنَّه يجادل ذلك المؤمن من قومه الَّذِي كان يدعو إلى تصديق ما جاء به النبي موسى (عليه السلام)، فأراد فرعون أن يوهم قومه بأنه ببنائه لهذا الصرح "يمتحن ما جاء به موسى من التوحيد، فإن بان له صوابه لم يخفه عنهم، وإن لم يصح ثبّتهم على دينهم"، وقد فسر أبو حيان الأندلسي قول فرعون هذا بأنه هروب من حجّة موسى عليه السلام .

ومما يلاحظ في هذا المقام أن علماء العَرَبِيَّة في أثناء مناقشتهم لمسألة صدور الرجاء على لسان الله سبحانه وتعالى فإنهم يتأولونه على أنه ترجٍ باعتبار حال المخاطبين،لا باعتبار حاله عزَّ وجلَّ؛ لأنه العالم والقادر على كلِّ شيءٍ ومن ثمَّ فلا يجوز في حقه رجاء، وهذه المسألة من

---

٤) المائدة: ٥٢.

٥) غافر: ٣٦-٣٧.

المسائل التي أكثر منها النحويون خاصة وعلماء العَرَبِيَّة عامة؛ لأنها تنطلق من مبدأ عقدي لا يمكنهم إغفاله وهم يصوغون قواعدهم.

إذن فالسِّيَاق الثقافي/الديني هو الَّذِي يبرر كثيرًا من تأويلاتهم التي قد لا تتفق مع ما قرروه من قواعد وأصول عامة، ففي قوله تعالى: ﴿**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى، قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى**﴾[٦]، فالملاحظ أن جملة الرجاء (**لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**) هي جملة اعتراضية بين أمر الله (سبحانه وتعالى) لموسى وهارون بـ (**اذْهَبَا**) وقولهما (**رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى**) وهي تفيد بحسب ما قرره النُّحَاة معنى الرجاء إلا أنها صادرة عن الحق تبارك وتعالى ولذا يقول ابن هشام في تأويلها بحسب حال المخاطبين اذهبا في رجائكما هذا المقول فيه لعلَّه يتذكَّر أو يَخشى، ومنهم من أخرج هذا الرجاء عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي كالتعليل أو الاستفهام، يقول الطبري: "وقوله(**لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**) اخْتَلَفَ في معنى قوله: (**لَعلَّهُ**) في هذا الموضع، فقال بعضهم معناها ها هنا الاستفهام، كأنهم وجهوا معنى الكَلاَم إلى: فقولا له قولا لينا، فانظرا هل يتذكر ويراجع أو يخشى الله فيرتدع عن طغيانه...وقال آخرون: معنى لعلّ هاهنا كي، ووجَّهوا معنى الكَلاَم إلى (**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى**) فادْعوَاه وعظاه ليتذكر أو يخشى، كما يقول القائل: اعمل عملك لعلك تأخذ أجرك، بمعنى: لتأخذ أجرك، وافرُغ من عملك لعلنا نتغدَّى، بمعنى: لنتغدى، أو حَتَّى نتغدى، ولكلا هذين القولين وجه حسن، ومذهب صحيح".

أما إذا كانت صادرة عمّن يُحتمل رجاؤه فهي على حقيقتها، ومثال ذلك قول الرسول محمد (ﷺ): "**كان رجل يداين الناس وكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسرًا فتجاوز عنه، لعل الله أن يتجاوز عنّا فلقي الله فتجاوز عنه**"، وقد مهّد هذا الرَّجُل الَّذِي يرجو عفو ربه لهذا الرجاء بعمل صالح وهو التجاوز عن المعسر من المدينين وكان فضلاً عن ذلك يوصي فتاه بقوله: إذا أتيت معسرًا فتجاوز عنه، وهو عمل يرجو من ورائه عفو الله وصفحه فكان له ما رجاه.

---

٦) طه: ٤٣-٤٥.